

الأشباه والنظائر في القرآن الكريم وأثر السياق في توجيهها الدلالي

Analogical and Figurative Expressions in the Quran: The Impact of Context
on Their Semantic Guidanceط.د./ بودوكارة مراد¹، د/ موصدق خديجة²¹جامعة وهران 1 (الجزائر)، boudokaramourad@gmail.com²جامعة وهران 1 (الجزائر)، m.khadij@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ القبول: 2024/12/01

تاريخ الاستلام: 2024/06/12

ملخص:

بحث الباحث في المبحث التمهيدي مفهوم الأشباه والنظائر متطرقاً إلى دلالة هذا التركيب في اللغة والإصطلاح ثم تحدّث عن أهم مؤلفاته المطبوعة المفردة فيه، وأشار إلى بعض المؤلفات التي بحثته ضمناً، ثم تحوّل إلى تحليل مفهوم السياق القرآني، وأهميته في الدرس التفسيري. وفي المبحث الرئيسي أوضح عن ضرورة مراعاة المفسر للسياق القرآني في توجيه المعنى الذي تُحمل عليه دلالة أشباه ألفاظ القرآن، والمنهجية الفعّالة للاستفادة منه في هذا الغرض، مع تطبيق نموذجي لهذه المنهجية. كلمات مفتاحية: الأشباه والنظائر؛ السياق القرآني؛ التوجيه الدلالي؛ المشترك اللفظي؛ وجوه الدلالة.

Abstract:

The introductory section delves into the concept of analogical and figurative expressions, highlighting their significance. It then discusses prominent printed works on the topic and mentions others who have addressed it indirectly. Subsequently, the study analyzes the concept of Quranic context and its importance in interpretation.

The main section emphasizes the necessity for interpreters to consider the Quranic context when determining the meaning conveyed by analogical and figurative expressions in the Quran. It outlines an effective methodology for utilizing context in this regard, accompanied by a practical application.

Keywords: Analogical and figurative expressions; Quranic context; semantic guidance; verbal commonality; aspects of meaning.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

الحمد لله الذي خصّ قلوب أوليائه بدوام ذكره، وحباهم لذّة ونعيم قربه، والأنس بكتابه، فاصطفاهم من أهله وخاصّته، والصلاة والسلام على من عدمته الأشباه، وانفتل عن نظير جاهه كل جاه، فليس في الخليقة من وجوه العلى كوجه عليه، أما بعد:

فإن فضل الاشتغال بكتاب الله سبحانه تدبّراً وتعلّماً وتفهمًا وتعليمًا معلوم، فليس يدانيه فضل ولا شرف مروم، ومن وجوه تحصيل هذا الفضل المبين، تقليب النظر في علومه، وتثوير مكنونات فهمه، ومن هذه العلوم التي حواها بحره الزّاهر، علم ألفاظه، وهو جانب تتصل به مباحث كثيرة، اخترت منها ما يتناسب مع موضوع الملتقى الكريم الموسوم بـ: "الألفاظ المتقاربة في القرآن الكريم"، وهو مبحث الوجوه والنظائر، وأثر السياق القرآني في ضبط دلالاته، فكان موضوع المداخلة موسوما بـ: "تأثير السياق في توجيه الدلالي للأشباه والنظائر القرآنية"، وسبب اختياري له هو القناعة البالغة بضرورة العناية الشديدة بالسياق القرآني في التفسير لاسيما في الاختيار والترجيح، وأهميته تكمن في الكشف عن مجال من مجالات إقحام السياق في الدراسات القرآنية وتأثيره وفعاليته في فضائه، وعليه فإنشكال الدراسة أساسا هو معرفة مدى هذه الفعالية والتأثير في الفصل في الدلالة المعنوية لموارد الأشباه القرآنية، ورعاية لحلّ هذا الإشكال انتظمت وفق الخطّة التالية:

المبحث التمهيدي: مفهوم الأشباه والنظائر ومعنى السياق القرآني

المطلب الأول: مفهوم الأشباه والنظائر

المطلب الثاني: مدوّنات الأشباه والنظائر

المطلب الثالث: معنى السياق القرآني وأهميته

المبحث الرئيسي: دلالة السياق على دلالة الأشباه والنظائر

المطلب الأوّل: أثر السياق في توجيه دلالة أشباه ألفاظ القرآن الكريم _لفظ الظلم

نموذجا.

المطلب الثاني: منهج توظيف السياق في توجيه معنى أشباه القرآن

المطلب الثالث: التطبيق على لفظ "الظهور"

ثم الخاتمة والملخص وقائمة المراجع

أما المنهج المعتمد فالمنهج الوصفي التحليلي، معتمدا أساسا في مراجعي على مؤلفات الأشباه والنظائر مع مقدمات تحقيقها، وأهمها "نزهة العيون النواظر" لابن الجوزي مع مقدّمة تحقيقه، و"الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان، و"البرهان" للزركشي، و"الإتقان" للسيوطي، و"صاح اللغة" للجوهري.

وفيما يلي الشروع في المقصود ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

2. المبحث التمهيدي: مفهوم الأشباه والنظائر ومعنى السياق القرآني

1.2. المطلب الأول: تعريف علم الأشباه والنظائر القرآنية

اهتم علماؤنا بالقرآن وعلومه منذ نزوله اهتماما عظيما، وخدموا مباحثه ومعارفه واستنطقوها من نواحي مختلفة، ومن هذه الجوانب التي شغلت حيّزا كبيرا جدّا من عنايتهم، ما يرتبط بألفاظه ومفرداته من مباحث، كدلالاتها وتركيبية بنائها ووجوه أدائها ونحويتها في موقعها من التركيب ومعاني غريبها وغير ذلك، ومن هذه المباحث القيمة، ظاهرة اختلاف معنای الألفاظ القرآنية باختلاف مواقع ورودها، فمع أنها ألفاظ تنتهي إلى أصل أو لفظ واحد، إلا أنها تختص في كل موقع ترد فيه بمعنى مختلف عن مورد آخر، وهذه الألفاظ باعتبار هذه الظاهرة سمّيت عند من دَوّن وكتب في علوم القرآن ودراساته بالوجوه والأشباه والنظائر، واستقلّت بمبحث خاصّ في مدوّناتهم، وسنعرّض في هذا المطلب بعد هذه التوطئة الموجزة إلى الحديث عن حدّ هذا المبحث والفرق بينه وبين بعض المباحث الأخرى المتداخلة معه.

أوّلا: الحدّ اللغوي: يتألّف عنوان هذا المبحث من ثلاث كلمات متعاطفة: الوجوه

والأشباه والنظائر.

فأما الوجوه في اللغة فجمع وجه، ووجه كل كلام مستقبله، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به (ابن منظور، د.ت، صفحة 4776)، والأشباه واحدها شبه وشبه وشبيه، وهو المثل، وأشبه الشيء الشيء ماثله (ابن منظور، د.ت، صفحة 2189)، وأما النظائر فتوحيدها نظير، والنظير المثيل، وفلان نظيرك أي مثلك، ونظير كل شيء مثله (الجوهري، 2009، صفحة 1149).

مما تقدّم من دلالات لغوية لهذه الألفاظ يتضح أنها متقاربة، ويتحصّل من هذا التقارب صفتان مطردتان في جميع إطلاقاتها، وهما التعدّد والشركة، وسيوضح أن جهة النسبة بين هذه الدلالة اللغوية والدلالة الإصطلاحية لكلّ منهما كامنة في هاتين الصفتين.

ثانيا: حدّه في الإصطلاح: قال ابن الجوزي: واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلّ مكان معنى غير الآخر، فلفظ كلّ كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى.

الأخرى هو الوجوه، فإذا النظائر اسم للألفاظ والوجوه اسم للمعاني (ابن الجوزي، 1987، صفحة 83).

قال السيوطي: الوجوه اللفظ الذي يستعمل في عدّة معاني كلفظ الأمة" (السيوطي، د.ت، صفحة 121).

يقول الباحث: وعلى هذا الحدّ لا فرق بينه وبين مبحث الاشتراك في الألفاظ فيما يظهر بادئا، ولكن الذي يظهر من صنيع المؤلفين بعد الفحص والإمعان أن بينهما فرق من جهة دقيقة، وهي أن النظائر يبحثون دلالاتها في موارد متفرقة وقعت في القرآن الكريم، أما المشترك فيبحثون دلالاته في مورد واحد.

لفظ الأمة في القرآن مثلا، هل ينتهي إلى مبحث الاشتراك اللفظي أم إلى مبحث الوجوه والنظائر؟ إن بحثنا دلالاته في الموضع الواحد من مواضع وروده انتهى إلى مبحث

الاشتراك اللفظي، وإن بحثنا دلالاته في جميع مواضع وروده بحثاً استقصائياً انتهى إلى مبحث الوجوه والنظائر.

فإن قال قائل تعريف الوجوه والنظائر ينطبق كذلك على اللفظ الذي يختلف معناه بين الحقيقة والمجاز، قلنا له ليس البحث هنا بحث دلالاته المنقول إليها عن دلالاته الوضعية، إنما البحث في دلالاته الوضعية على جهة الحقيقة، فإن قال: وهل تتعدد أوضاع الحقيقة للفظ الواحد؟ قلنا له: نعم، والشاهد على ذلك تطرق الاحتمال إلى دلالاته مفرداً بمعزل عن التركيب، وإن انصرف الذهن إلى معنى واحد فشهرته وغلبته في الاستعمال لا لأنه حقيقة وضع اللفظ وغيره منقول إليه.

2.2. المطلب الثاني: مؤلفات الوجوه والنظائر ومدوناته

والتدوين في هذا المبحث على نوعين:

الأول: التدوين الضمني في كتب اللغة وعلوم القرآن: فهذا المبحث مبحث لغوي أصالة، والتعرض له في مباحث القرآن الكريم جهته أن القرآن نزل بلغة العرب وأفانينهم وأساليهم في صناعة الكلام وأوضاعه، فتناولت كتب المعاجم والأدب معاني اللفظ الواحد الذي استعملته العرب فيها، ومن هذه الألفاظ ما ورد في القرآن الكريم، فتكون مادتها متفقة مع مادة بحثها في القرآن الكريم للعلاقة اللغوية المشتركة بينهما، وكان كذلك جزءاً من مدونات علوم القرآن الكريم، في برهان الزركشي: النوع الرابع: معرفة الوجوه والنظائر، والسيوطي في الإتيان: النوع التاسع والثلاثون: معرفة الوجوه والنظائر، وهكذا كان نوعاً من أنواع مباحثها. الثاني: التدوين المفرد: قال السيوطي: "صنف فيها مقاتل بن سليمان ومن المتأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد البصري وابن فارس وآخرون...وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته معترك الأقربان في مشترك القرآن" (السيوطي، د.ت، صفحة 121).

ويجدر التنبيه أن التدوين المفرد كان في وقت متقدم، فأول مؤلفاته كتاب مقاتل بن سليمان، سَمَّاه: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، حققه الدكتور حاتم الضامن، وللحكيم

الترمذی مؤلف سماء تحصیل نظائر القرآن، مطبوع بتحقیق نصر زیدان، منشور سنة 1970 في القاهرة، وفي نفس السنة نشر في بيروت كتاب للدماغاني باسم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، والمؤلف الشهير للعالم الكبير أبي الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة، سماء نزهة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر، طبع مرارا، وآخر لشمس الدين ابن العماد، اسمه كشف السرائر عن معنى الوجوه والنظائر، والكتاب مطبوع سنة 1977م في مصر بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم، هذه أهم المؤلفات المطبوعة والعديد الكثير منها مما لازال قابعا في مكاتب المخطوطات ينتظر من يحققه ويخرجه.

وطريقة هذه المؤلفات في ترتيب الألفاظ على ثلاثة طرق:

الطريقة الأولى: أنها ترتب الألفاظ ترتيبا معجميا: وذلك بعد ردّ الكلمة إلى أصلها من الفعل أو المصدر، ثم تذكر نظيراتها في القرآن الكريم ودلالة كل منها.

الطريقة الثانية: ترتب الألفاظ بحسب موردها الأول في ترتيب سور المصحف، ثم تذكر نظيراتها ودلالاتها، لكن هذا الترتيب لا يطرّد في المؤلف كلّ، فيختلّ في كثير من الأحيان تقديمًا وتأخيرًا، كما أنها لا تصرّح بالتزام هذه الطريقة، ولا تذكر اسم السورة قبل اللفظ، إنما هو استنتاج من الباحث.

الطريقة الثالثة: عدم التزام منهج واضح في الترتيب، وسرد الألفاظ من غير ضابط محدّد.

كما أنها تجعل اللفظ بابا، فتقول: باب الأمة مثلا، ثم تختلف فيما بينها بعد ذلك على طريقتين:

الطريقة الأولى: تذكر النظير أولا ودلالاته، ثم مورده في القرآن الكريم أو أكثر في حاتلة تعدّد موارده بالمعنى نفسه، إذ أنه ليس شرطا أن يستقلّ كل مورد بمعنى.

الطريقة الثانية: تذكر المورد القرآني أولا، ثم دلالة اللفظ فيه.

وهذا الاختلاف في التصنيف شكلي لا أثر له في الفحوى والمضمون، لكن الابتداء بالمراد قبل الدلالة قد يكون منطقيًا أكثر، لأن المفسر ينظر إلى سياق ورود أولًا، ثم يحكم بدلالته، لا العكس.

3.2. المطلب الثالث: مفهوم السياق في النص القرآني

من جهة اللغة: حاصل ما في كتب المعاجم أن السياق والسوق والسيقة مصدر ساق يسوق السائق المسوق هو تتابع الأفراد حال كونها مجتمعة، وهذا التابع والاجتماع ينطبق على أفراد الكلام من الكلمات كذلك، فسياقه تتابعها وانتظامها فيه.

من جهة الاصطلاح: من المعنى اللغوي وتطبيقه في الكلام والحديث ومن تم في كلام القرآن الكريم اتّصل تعريف العلماء له في الاصطلاح به فقالوا: "بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له" (قاسم، د.ت، صفحة 62).

إذن فسياق القرآن الكريم هو نظم القرآن من الكلمات وتسلسلها وانسياق بعضها حذو بعض، مع علاقة ومناسبة بينها، مما يستدعي فهم بعض أجزاء هذا النظم من كلمات أو جمل النظر في ما انساق له من سياق وما استاق له من لحاق كونها كلية واحدة يفسر بعضها في ضمن كليته.

واختلف العلماء في دخول مقام الحال الذي نزل القرآن فيه ضمن منظومة السياق، وسمّوه بسياق الحال في مقابل سياق المقال، ولا يخفى أهمية مراعاة المفسر في بيانه لمعاني القرآن الكريم لبيئة الخطاب كونها وعاء نصّه الذي نزل مخاطبًا لأهلها ابتداءً، بل قد يكون تفسيره بمعزل عن سبب النزول مثلاً مورثاً للخطأ في التفسير، فمن فسّر قوله سبحانه "فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما" (سورة البقرة، الآية 157)، أو "واتوا البيوت من أبوابها" (سورة البقرة، الآية 188)، أو أشباهها مقتصرًا على سياق المقال لم يكن فهمه صوابًا، والمفسر التحرير من زاوج بينهما في تركيب قطع الصورة المفترقة لتكون تامة نفهم كل جزء منها في ضوء

جميعها، غر أن السياق المقصود في هذه الدراسة فيما يلي منها هو السياق اللغوي المقالي
تحديدا لأهداف البحث لا إنكاراً لأهمية السياق الحالي.

ويجدر التنبيه أن السياق القرآني المقالي لا ينفك أن يكون منوطا بسباقه ولحاقه في
جواربه، ومنوطا كذلك بالسياق المقطعي، أي المقطع الذي انتظم داخله، وهو ما يسمى
بالوحدة الموضوعية المقطعية، وبالسياق السوري في السورة التي وقع فيها، أو ما يسمى
بالوحدة الموضوعية للسورة، ثم بالسياق القرآني العام ونظمه، فهذه حلقات متداخلة
متكاملة، وكذلك يرتبط السياق بمقاصد القرآن الكريم ومناسباته.

3. المبحث الرئيسي: دلالة السياق على دلالة الأشباه والنظائر

1.3. المطلب الأول: أثر السياق في توجيه دلالة أشباه ألفاظ القرآن الكريم -لفظ

الظلم نموذجا

التوجيه ليس معناه في هذا الطرح والصياغة إلا التفسير، والسياق هنا قطعة من
القرآن الكريم، فالتوجيه بالسياق ضرب من التفسير بالقرآن، والأشباه في القرآن ونظائره
جزء منه، فحتى يكون الهدف من هذا المطلب أكثر وضوحا إنما نبحت عن أثر تفسير نوع
مخصوص من القرآن بنوع مخصوص آخر منه، غير أنه لا يخرج عن دائرة تفسير القرآن
بالقرآن الذي هو أشرف أنواع التفسير وأعلى مراتبه ومنى كلّ مفسّر أن يظفر بشيء منه.

يتجلى أثر تفسير معنى أشباه القرآن الكريم بسياقها في أوضح صورة له في عجز
المفسّر عن تحديد المعنى المراد منها في كل موضع وردت فيه بمعزل عن مسيرته، فهي من
تصديقات الحمولية الوجهية للقرآن الكريم، ذالك أن الأشباه في القرآن الكريم كما تقدّم
ألفاظ تتكرّر في أكثر من مورد فيه، لكن كلّ مورد من هذه الموارد يختلف معناها ضمنه عن
مورد آخر، فأنى للمفسّر أن يهتدي ويقطع بالمعنى الصحيح المراد من هذه المعاني إذا نظر إليها
مجردةً بعيدةً عن سياقها الذي يحويها ويمنحها هويتها وانتماءها، وهي دونه مجهولة لا كيان
دلالي لها، فالسياق بالنسبة لها كالوطن الذي يفسّر وجودها.

وقد كانت عناية النبي صلى عليه وسلم وصحابته بعده ومن تبعهم من أهل العلماء بالغة في استدعاء السياق في التفسير عموماً، كتوجيهه لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في فهم قوله سبحانه: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" (سورة المؤمنون، الآية 60)، قالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" (الترمذي، د.ت، صفحة 3153)؛ (ماجدة، د.ت، صفحة 4198).

فاستعان النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه معنى الآية بلحاقها، فأنى تكون في المسيئ ثم يلي الإشادة به بأوصاف المحسنين من السبق في الخيرات والمسارة فيها. وهكذا استعان النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص بالسياق في تفسير نظائر القرآن الكريم، فوجّه الصحابة رضي الله عنهم إلى الفهم الصحيح لمعنى لفظة الظلم في سياقها من قوله سبحانه:

"الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"، إذ أنهم شقّ عليهم لما فهموا معنى هذا اللفظ على المعنى الذي ورد به في سياقات أخرى غير سياقه، ففهموه على أنه مطلق الظلم للنفس من مقارفة أي معصية صغيرة أو كبيرة، في حين أن معناه غير ذلك، لأنه ليس على معنى واحد مطرد في جميع موارد، بل هو على معاني مختلفة ذكرها العلماء، عدّها ابن الجوزي نقلاً عن أهل التفسير أنها ستة أوجه:

أحدها: الظلم بعينه، ومن قوله تعالى في البقرة: "فتكونا من الظالمين"... والثاني: الشرك، ومنه قوله تعالى في الأنعام: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"، والثالث: النقص، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف: "آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً"، والرابع: الجحد، ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف: "بما كانوا بآياتنا يظلمون"، والخامس: السرقة، ومنه قوله تعالى في المائدة عن التوبة من السرقة: "فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه"،

والسادس: الإضرار بالنفس: ومنه قوله تعالى في البقرة: "وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

ففهم الصحابة المعنى الأول أو السادس، إذ أنه المتبادر إلى الذهن حال النظر إلى اللفظ مجرداً عن سياق وروده، فردّهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعنى الصحيح المناسب لسياق الورود (البخاري، د.ت، صفحة 3429)؛ (مسلم، د.ت، صفحة 242)، إذ أن الظلم في وفاق الآية جاء في مقابل جنس الإيمان، فيكون ما يقابله هو الشرك، وسباق الآية قصّة إبراهيم مع قومه في إنكاره عليهم ما لبسوه من الشرك، فقال سبحانه: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً فأنيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون" (سورة الأنعام، الآية 8)، وفي لحاقها حديث عن التوحيد، قال سبحانه: "وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم" (سورة الأنعام، الآية 84)، وحجّة الله التي آتاها أنبياءه حجّة التوحيد، ثم السياق العامّ لسورة الأنعام يدور على تقرير التوحيد وإبطال ضده.

2.3. المطلب الثاني: منهج توظيف السياق في توجيه معنى أشباه القرآن

دلالة السياق على معنى مسوقه على نوعين:

دلالة ظاهرة واضحة، يتفطن الناظر إليها بأدنى جهد أو كلفة، فهي تنادي صارخة بمعنى اللفظ في أدراجها، ودلالة خفية يحتاج استنطاقها إلى أصول التفسير الذي هو شقّ من أصول الفقه، لذلك يجدر التنويه إلى ضرورة

إجادة من يستضيف السياق لفهم المعنى المراد من اللفظة للعلاقات الأصولية التي تربطهما من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإشارة واقتضاء واهتمام وغيرها.

أما عن الخطوات المنهجية التي يتبعها المفسّر في إحراز هذا الغرض فهي ثلاثة على النحو التالي:

الخطوة الأولى: تحديد اللفظ والمورد المراد الاهتداء إلى معناه فيه.

الخطوة الثانية: إحصاء المعاني اللغوية العربية المستعملة في اللفظ المختار إلى زمن النزول، ثم المعاني التي ورد بها في القرآن الكريم في بقية الموارد الأخرى من أغيار المورد المراد بحث معنى اللفظ فيه.

الخطوة الأخيرة: تحليل العلاقة بين السياق واللفظ في المورد المختار، وهذه العلاقة هي دلالته على معناه، وهي كما تقدّم قد تكون بسيطة، وقد تكون معقدة، ثم لتوثيق هذه العلاقة وإحكامها علينا المقارنة بين مفرزات هذه الخطوة و مفرزات الخطوة الثانية من جهة المناسبة، والتكون النتيجة أحد النتائج الثلاثة:

الحالة الأولى: مطابقة دلالة السياق على اللفظ لأحد المعاني الواردة في السياقات الأخرى.

الحالة الثانية: عدم مطابقتها لأحد الدلالات القرآنية، فليس بالضرورة حصول مطابقتها لأحدها، فنخرج إلى باب أوسع، وهو الدلالات اللغوية التي أحصيناها في الخطوة الثانية، ومطابقة دلالة السياق على اللفظ لأحدها.

الحالة الثالثة: عدم مطابقة دلالة السياق على معنى اللفظ لمعنى من معانيه اللغوية، فتكون هذه الدلالة من الدلالات القرآنية المضافة إلى الدلالات اللغوية للفظ، كما تقدّم في إطلاق الظلم على الشرك، فهذا الإطلاق لم يكن معروفا في لغة العرب قبل استعمال القرآن للفظ الظلم فيه.

وهذا البحث بخطواته السابقة هو فرض أن معنى اللفظ في المورد عارٍ عن البيان في كتب التفسير وعلوم القرآن عموماً، وكتب الأشباه والنظائر خصوصاً، وقد يكون هذا غير واقع، لكن لا بأس أن يتبع المتمرن هذه الخطوات تنمية لمهارات بحثه ودربة عليها، ثم يقارن ما توصّل إليه مع ما في هذه الكتب.

3.3. المطلب الثالث: التطبيق على لفظ "الظهور"

الخطوة الأولى: ليكن المورد المراد رصد معنى لفظ الظهور فيه قوله سبحانه: "والملائكة بعد ذالك ظهير" (سورة التحريم، الآية 4).

الخطوة الثانية: ورد لفظ الظهور في اللغة على أصول المعاني التالية:

الظَّهْر: خلاف البطن، ومنه انشَقَّ تسمية الرِّكَّاب ظهرا، لأنه مركبها، ومنه قوم مظهرون أي لهم ظهر وركاب، ومنه انشَقَّ كذلك فلان نزل بين ظهري بني فلان، أي حلَّ بينهم وبين أظهرهم، ومنه ظَهَرَ فلان إذا اشتكى ظهره، وجعله ظهريا تركه خلف ظهره. والظُّهر والظَّهيرة: وقت الهاجرة، وصلاة الظَّهر لوقوعها في هذا الوقت. الظَّهور: الوضوح والبيان، والشمس تسمى بالظَّاهرة لظهورها في السماء. الظَّهير: المعين على الغلبة، وأظهره على عدوّه أعانه عليه حتى ظهر عليه وغلبه (الجوهري، 2009، صفحة 722).

وفي القرآن على هذه المعاني التالية:

أحدها: الإبداء: ومنه قوله تعالى: "ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها" (سورة النور، الآية 31).

الثاني: الاطلاع: ومنه قوله سبحانه: "إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم" (سورة الكهف، الآية 20).

الثالث: الإرتقاء: ومنه قوله تعالى: فما استطاعوا أن يظهروه" (سورة الكهف، الآية 75). الرابع: العلوّ والقهر: ومنه قوله تعالى: "ليظهره على الدين كله" (سورة التوبة، الآية 78).

الخامس: البطلان: ومنه قوله تعالى: "أم بظاهر من القول" (سورة الرعد، الآية 81). السادس: الظهور التي يقابلها الصّدود: ومنه قوله تعالى: "فنبذوه وراء ظهورهم" (سورة آل عمران، الآية 82).

السابع: الدّخول في وقت الظَّهر: ومنه قوله تعالى: "وحين تضعون ثيابكم من الظَّهيرة" (ابن الجوزي، 1987، صفحة 428).

الثامن: التعاون: منه قوله تعالى: "وإن تظاهرا عليه" (بن سليمان، د.ت، صفحة 117). الخطوة الثالثة: تحديد العلاقة الدلالية بين لفظ "ظهير" وبين سياقه الذي وقع فيه:

قال سبحانه: "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير"" (سورة التحريم، الآية 04).

سياق الآية فيه أن الله سبحانه يعاتب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة

رضي الله عنهما تواطؤهما على نبيه وتظاهرها عليه وتعاونهما ليحرّم على نفسه سرّيته مارية رضي الله عنها، فلفظ "تظاهرا" عليه في الآية بمعنى تتعاوننا، فجاء ما يقابله من جنسه من معاونة الله سبحانه لنبيه وموالاته بقوله "هو مولاه"، والموالاتة المعاونة والنصرة، والعطف على مثلها من معاونة جبريل وصالح المؤمنين والملائكة كذلك بلفظ "ظهير"، فدلالة سياق الآية ونظمها تجري على أن معناه معين.

الخطوة الأخيرة: العلاقة الدلالية بين السياق واللفظ مطابقة لأحد الدلالات في القرآن واللغة، وهذا يعزّز المعنى الذي توجّه إليه السياق.

تمّ المقصود بحمد الله المعبود

4. الخاتمة:

توصّل الباحث في نهاية هذه المداخلة إلى النتائج التالية:

الأشباه والنظائر القرآنية ألفاظ ما اتفق أصلاً أو لفظاً واختلف معناه باختلاف وروده في القرآن الكريم.

الفرق بين الأشباه والنظائر والمشارك اللفظي أن الأخير مبحث تعدّد معانيه في ذاته، في حين أن الأول مبحث تعدّد معانيه مع غيره من نظائره.

من أقدم المؤلفات المفردة في مبحث النظائر القرآنية مؤلف مقاتل بن سليمان، واندرج هذا العلم كذلك ضمناً في كتب التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة.

السياق القرآني هو نظم الجمل والكلمات في نسق واحد متناغم لفظاً ومعنى، بحيث لا نفهم بعض هذا النظم إلا في كلّه.

السياق المقالي يفصل في المعنى المراد من كمل واحدة من الألفاظ المتناظرة من بين تلك المعاني المختلفة التي تحتلمها، وهي بمعزل عنه مجهولة الدلالة لا هويّة ولا انتماء لها. وظّف النبي صلى الله عليه وسلّم والصحابه بعده ومن بعدهم من العلماء السياق في فهم معاني القرآن الكريم وحلّ مشكلاته، ومن ذلك الفصل في معنى الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى.

المنهج الأمثل للاستفادة من السياق في توجيه دلالة الألفاظ المتناظرة في القرآن الكريم يجري وفق أربع خطوات:

الخطوة الأولى: اختيار اللفظ النظير المراد الاهتداء إلى دلالاته مع تحديد مورده في القرآن الكريم.

الخطوة الثانية: إحصاء دلالاته في اللغة وفي القرآن الكريم.

الخطوة الثالثة: تكييف طبيعة علاقة اللفظ بسياقه، والاهتداء إلى وجه دلالاته على معناه، ثم الفصل ببوصلة السياق إلى المعنى المراد منه.

الخطوة الرابعة: المقارنة بين المعنى المتوصّل إليه وبين المعاني اللغوية والقرآنية له، وما إذا كان يوافق أحدها.

ويوصي الباحث بما يلي:

_ دعوة استكتاب معجم دلالي للوجوه والنظائر مرتبا بحسب المورد الأول في ترتيب سور وآيات القرآن الكريم، لأن المؤلفات على هذه الطريقة مشوشة ومضطربة.

_ دعوة الباحثين إلى عملية جمع واستقراء ثم تجريد لكل ما هو توظيف للسياق في التفسير في التفاسير المأثورة.

_ دعوة الأساتذة إلى تقديم مشاريع PRF في موضوع السياق القرآني وأثره في توجيه دلالات القرآن الكريم وقراءاته.

_ إرشاد طلبة الماستر في التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية المقبلين على التخرج إلى بحث مواضيع في توظيف السياق عند المفسرين.

_ وأوصي في الختام بضرورة استرجاع شعبة العلوم الإسلامية بتخصصاتها في الطور الثانوي وتفعيل الجهود في سبيل صناعة جيل من الباحثين الشرعيين المقتدرين.

5. قائمة المراجع:

- ✓ ابن الجوزي. (1987). *نزهة العيون النواظر*، ط3. مؤسسة الرسالة.
- ✓ ابن ماجة. (د.ت). *صحيح ابن ماجة*.
- ✓ ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*. القاهرة: دار المعارف.
- ✓ البخاري. (د.ت). *صحيح البخاري*.
- ✓ الترمذي. (د.ت). *سنن الترمذي*.
- ✓ الجوهري. (2009). *صحاح اللغة*. القاهرة: دار الحديث.
- ✓ السيوطي. (د.ت). *الإتقان (المجلد 2)*. تحقيق: أبو الفضل؛ إبراهيم.
- ✓ عبد الحكيم قاسم. (د.ت). *دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير (رسالة ماجستير)*.
- ✓ مسلم. (د.ت). *صحيح مسلم*.
- ✓ مقاتل بن سليمان. (د.ت). *الوجوه والنظائر*. الرياض، السعودية: مكتبة ابن رشد.